



ملف: نصف قرن على وفاة فرانكو

- خمسون عامًا على وفاة فرانكو، ماذا بقي من ديكتاتوريته؟؛ بقلم صوفي بيبى BABY Sophie وماتيلد تيسونيير TEISSONNIERE Mathilde
- شهادة دافيد روسيه عن المفاوضات بين الحركة الوطنية المغربية والسلطات الإسبانية؛ بقلم روسيه دافيد
- مفاوضات بين كتلة العمل الوطني والقوات السياسية والنقابية الكتالانية (من كتاب مغاربة في خدمة فرانكو)؛ بقلم: مارية روسا دي ماداريغا

تقديم:

صفحات قاتمة تعود عندما يعاد إلى الأذهان أن ديكتاتوريا فاشيا، من قبيل فرانكو، مات قبل نصف قرن. إنه هازم الجمهورية في إسبانيا، قاهر طبقتها العاملة وفقرائها الفلاحين، الذي عمل على استتباب سلطة الرأسماليين، بقبضة من حديد لم تلن إلا بعد وفاته، لتنتقل تلك السلطة إلى الاشتغال بالطرق البرلمانية التقليدية.

في المغرب، من شأنها قلب ميزان القوى لصالح الجمهورية وقوى التحرر الإسبانية، ومنها شهادة مناضل الأممية الرابعة بيير روسية عن دوره لما زار المغرب واتصل بقيادة حركته الوطنية.

جوانب أخرى عديدة من تشابك الوضعين المغربي والإسباني تظل مطموسة، وحتى مهمة من قبل قوى التحرر ببلدنا. ستسعى المناضلة للإسهام في القاء الضوء عليها.

مع صورة فرانكو تعود صورة الجرائم الذي اقترفها نظامها، ولا تزال جراحها مفتوحة. ومنها استعماله فقراء من المغرب مجندين في الحرب الأهلية الإسبانية التي انتهت بهزم الجمهوريين.

لوضع القارئ في بعض جوانب الصورة، هذا الملف: استجواب يعرض باقتضاب مسار فرانكو، ومخلفات نظامه على إسبانيا اليوم. ومن جانب آخر نصين عن الفرصة التاريخية المفقوتة، فرصة فتح جبهة ضد فرانكو

بقلم، جريدة المناضلة

خمسون عامًا على وفاة فرانكو، ماذا بقي من ديكتاتوريته؟

مهدت وفاة الديكتاتور فرانسيסקو فرانكو في 20 نونبر 1975 الطريق أمام الديمقراطية في إسبانيا. إلا أن أربعة عقود التي حكم فيها البلد تركت أثراً لم يختف بعد. تعود صوفي بيبي، المحاضرة في التاريخ المعاصر في جامعة بورغون أوروبا، متخصصة في الفرانكوية والانتقال الديمقراطي في إسبانيا، مؤلفة كتاب Juger Franco ? Impunité, réconciliation, mémoire (محاكمة فرانكو؟ الإفلات من العقاب والمصالحة والذاكرة)، الصادر عن دار النشر La Découverte، في هذه المقابلة إلى مسيرة الكاوديو Caudillo، من دوره في الحرب الأهلية (1936 إلى 1939) إلى القمع الذي مارسه نظامه، دون أن ننسى القضايا المتعلقة بالذاكرة حول إحياء ذكرى تلك الحقبة التي تهز إسبانيا المعاصرة اليوم.

بقلم صوفي بيبي BABY
Sophie وماتيلد تيسونيير
TEISSONNIERE Mathilde



هل يمكنك أن تذكرنا من كان فرانسيסקو فرانكو وكيف وصل إلى السلطة؟

صوفي: ولد فرانكو عام 1892 في قرية إل فيرول El Ferrol في غاليسيا Galice، وهو ضابط محترف برز في حرب الريف (1921-1926)، التي كانت آنذاك ساحة العمليات الوحيدة للجيش الإسباني. أصبح في سن 33



فرانثيسكو مع أخيه رامون في المحمية المغربية، 1925

الجنود والطائرات والمعدات الحربية. تأرجح فرانكو بين الحياد وعدم الاشتباك في الحرب، لكنه تعهد، خلال لقائه مع هتلر في هينداي Hendaye في أكتوبر 1940، بالدخول في الحرب في الوقت المناسب - وهو الوقت الذي لم يأت أبداً. لكن الحلفاء لم ينجحوا: جرى عزل إسبانيا في عهد فرانكو عن المجتمع الدولي ولم تتمكن من الانضمام إلى الأمم المتحدة قبل عام 1955.

اليوم، ما هو الوضع بالنسبة لمسألة الاعتراف بضحايا الحرب والنظام؟

صوفي: وضع نظام فرانكو سياسة تذكارية هجومية ودائمة، تعتمد في المقام الأول على تمجيد أبطال وشهداء "الحملة الصليبية". حصل ضحايا المعسكر الوطني على قبور

اليوم موثقاً.

تشير التقديرات إلى أن الحرب الأهلية أسفرت عن 500 ألف ضحية. كان من بينهم، 100 ألف جندي سقطوا في الجبهة، أي أقلية. جرى إعدام حوالي 200 ألف شخص في الخلف - 49 ألفاً في المنطقة التي يسيطر عليها الجمهوريون و 100 ألف في منطقة فرانكو. أما الباقون فهم ضحايا عواقب الحرب والتشريد والمجاعة وقصف المدن.

بعد عام 1939، استمر القمع الفرانكي، حيث أُعدم حوالي 50000 شخص في الأربعينيات. من ناحية أخرى، غرقت إسبانيا في مجاعة خطيرة لم تكن ناجمة عن العزلة البسيطة التي تلت الحرب العالمية الثانية، كما ادعت دعاية فرانكو، بل عن سياسة الانغلاق التي اتبعها النظام الذي راهن على الاكتفاء الذاتي، وقطع الواردات، ولا سيما الأسمدة، وحدد الأسعار بشكل استبدادي، وصادر الإنتاج، وترك السكان فريسة للسوق السوداء والجوع، ما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 200 ألف شخص.

بالإضافة إلى ذلك، يُقدر أنه كان هناك في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي ما يقارب مليون سجين في

إسبانيا: حوالي 300 ألف في السجون وأكثر من نصف مليون في حوالي 200 معسكر اعتقال منتشر في أنحاء الأراضي الإسبانية، والتي استمرت حتى عام 1947. ويقدر أن حوالي 100000 سجين من معسكرات الاعتقال هذه لقوا حتفهم خلال هذه الفترة.

من ناحية أخرى، مر 140000 عامل قسري بمعسكرات العمل التابعة للنظام، والتي كانت لا تزال تعمل في الخمسينيات. في حين هرب 500000 شخص من قمع فرانكو؛ ولم يعد ثلثاهم.

انحاز نظام فرانكو بوضوح خلال الحرب العالمية إلى جانب هتلر وموسوليني، اللذين ساهما بشكل كبير في انتصار المعسكر الوطني من خلال إرسال عشرات الآلاف من

عاماً أحد أصغر الجنرالات في أوروبا. بعد إعلان الجمهورية الإسبانية الثانية في عام 1931، شغل عدة مناصب رفيعة. انضم متأخراً، في العام 1936، إلى الانقلاب العسكري الذي سعى إلى إطاحة الجمهورية الفتية. قام جنرالات آخرون بتدبير هذا الانقلاب، لكنه أدى دوراً رئيسياً فيه. التحق بالمغرب من جزر الكناري، وحشد الجيش الأفريقي الذي كان موالياً له، ونزل في الأندلس. ومع وفاة قادة الانقلاب الآخرين، الجنرالين سانجورجو Sanjurjo ومولا Mola، في حوادث طيران، فرض نفسه زعيماً للمعسكر المتمرد المسمى «الوطني». أمام فشل الانقلاب، ومقاومة الحكومة الجمهورية وجزء من الجيش الذي ظل موالياً للجمهورية والشعب، اندلعت حرب أهلية استمرت ثلاث سنوات. استقر فرانكو في بورغوس Burgos، في شمال البلاد، وأرسى أسس نظامه المستقبلي، وفرض سيطرته على كامل الأراضي بعد إعلان النصر في 1 أبريل 1939.

ما هي القيم التي يقوم عليها هذا النظام الجديد؟

صوفي: يعتمد نظام فرانكو على (الحركة الوطنية) Movimiento Nacional التي أصبحت الحزب الوحيد المسموح به في إسبانيا. وهي حركة قومية، معادية لليبرالية، كاثوليكية، ومعادية بشدة للشيوعية، ومعادية للإصلاحات العلمانية والاجتماعية التي قامت بها الجمهورية. تركز الحركة على الفالانخي (الكتائب)، وهي منظمة مستوحاة من الفاشية الإيطالية، وتهدف إلى استعادة النظام التقليدي القائم على الجيش والكنيسة والتراتبيات الاجتماعية. تجمع أيديولوجيتها بين القومية والمحافظه والحملة الدينية ضد "معاودة إسبانيا" التي ترتبط بالشيوعية والماسونية والليبرالية.

ماذا كانت حصيلة الحرب الأهلية البشرية ونظام فرانكو؟

صوفي: يجب التمييز بين الحصيلة الدقيقة للحرب الأهلية، من 1936 إلى 1939، وحصيلة القمع الفرانكي، اللتين تتداخلان زمنياً. هذه الحصيلة ليست نهائية تماماً، ولا توجد حتى الآن قائمة دقيقة بأسماء وعدد الضحايا. لكن المؤرخين بذلوا جهوداً جبارة وأصبح التقدير

تحمل أسماءهم ونصب تذكارية تكريمهم - تلك النصب التذكارية "a los caídos" ("للشهداء") التي تنتشر في قرى شبه الجزيرة. وقد حصلوا على معاشات تقاعدية باعتبارهم محاربين قدامى أو معاقين حرب أو أرامل أو أيتام.

لم يكن هذا هو حال المنتمين إلى المعسكر المهزوم، الذين حُكم عليهم بالاستبعاد والبؤس والنسيان. يتحدث بول بريستون Paul Preston في هذا الصدد عن سياسة الانتقام. استمرت الملاحقة حتى نهاية النظام، حيث جرت آخر عمليات الإعدام السياسية قبل أسابيع قليلة من وفاة الديكتاتور. بوجه هذا التفاوت، طالبت جماعات الضحايا من المعسكر الجمهوري، التي تشكلت في الستينيات والسبعينيات، بالتعويض بعد وفاة الديكتاتور، مطالبة بالتعويض ثم الاعتراف. في عام 2025، أطلقت حكومة بيدرو سانشيز Pedro Sánchez العام التذكاري لـ "خمسين عامًا من الحرية" للاحتفال بالإنجازات الديمقراطية والنضالات المناهضة لفرانكو. وقد جرى التركيز على أولئك الذين ناضلوا، وبعضهم فقدوا حياتهم، في سبيل النضال من أجل الحرية. تأتي هذه المبادرة في إطار سياسة ذاكرة بدأت باستخراج جثة فرانكو في عام 2019، حيث كانت جثته ترقد حتى ذلك الحين في كنيسة فالي دي لوس كايدوس Valle de los Caídos في قشتالة شمال غرب مدريد، التي بناها سجناء النظام. جعل بيدرو سانشيز، الذي تولى السلطة للتو، من نقل جثته إلى ضريح عائلته أولوية، وعزز ذلك قانون الذاكرة الديمقراطية لعام 2022، الذي يقطع مع منطق التكافؤ بين الطرفين، ويدين بشكل صريح الديكتاتورية، ويؤكد التفوق النهائي للشرعية الديمقراطية على شرعية فرانكو.

في مواجهة سياسات الذاكرة التي ينسقها اليسار، ما هي مواقف اليمين التقليدي واليمين المتطرف؟

صوفي: من المؤكد أن اليمين - سواء كان الحزب المحافظ التقليدي، الحزب الشعبي (PP)، أو حزب اليمين المتطرف فوكس، الذي ظهر في عام 2014 - لطالما عارض سياسة الذاكرة هذه التي يعتبرها وسيلة لإبقاء الانقسام

بين الإسبان، ما قد يؤدي، حسب قوله، إلى تجدد الحرب الأهلية السابقة. ترى هذه الأحزاب أنه لا ينبغي "إعادة فتح جراح الماضي"، حتى لو كان هناك إجماع نسبي اليوم، على الأقل محلياً، على ضرورة تحديد هوية المفقودين واستعادة جثثهم. لكنها تعارض أي شكل من أشكال إعادة تأهيل الضحايا وترفض أي شكل من أشكال مسؤولية الدولة.

استولى اليمين، الذي لم يقطع أبداً مع ديكتاتورية فرانكو ورفض بأغلبية ساحقة اعتماد دستور عام 1978، منذ بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين على إرث الانتقال إلى الديمقراطية، مستخدماً الوفاق والتوافق والمصالحة كحجج لرفض سياسات الذاكرة.

كيف يجري التعامل مع مسألة رموز فرانكو في الأماكن العامة؟

صوفي: بدأ أول قانون للذاكرة من عام 2007، الذي اعتمدته الحكومة الاشتراكية بقيادة خوسيه لويس رودريغيز ثاباتيرو José Luis Rodríguez Zapatero، في إزالة رموز فرانكو التي بقيت موجودة في كل مكان من الأماكن العامة: تغيير أسماء الشوارع، وإزالة رموز الفالانخ (القوس والسهم) الموجودة على جميع المباني العامة، وإزالة التماثيل الفروسية لفرانكو، وتدمير عدد من النصب التذكارية التي تمجد النظام و"الحملة الصليبية" لأنها كانت تمجد بشكل واضح قيم الفرانكوية. لا يزال هناك عدد منها، ومؤخراً، أعلنت الحكومة عن نشر قائمة بهذه الرموز التي لا تزال قائمة. تذكرنا إزالة التماثيل بالموجة التي شهدناها في الولايات المتحدة وأماكن أخرى، لا سيما في المملكة المتحدة، في أعقاب حركة Black Lives Matter. لكن في إسبانيا، لم يكن هناك أي زخم شعبي من هذا القبيل؛ بل على العكس، كان ذلك جزءاً من سياسة قادتها السلطات العامة من أعلى.

اليوم، ماذا بقي من شخصية فرانكو؟

صوفي: يثير إحياء الذكرى الخمسين لوفاة فرانكو سؤالاً أساسياً: ما الذي يجب إحياء ذكره بالضبط؟ وفاة ديكتاتور؟ ما تبقى منه، في رأيي، هو في الغالب الجهل. في المناهج الدراسية التقليدية، الجزء المخصص لتدريس

تاريخ إسبانيا في القرن العشرين محدود للغاية. وهذا يؤدي إلى جهل عام بما كانت عليه الفرانكوية في الواقع ويشجع على رؤية مخففة جداً لهذا النظام.

لا يزال هناك خطاب عائلي واجتماعي سائد في بعض الأوساط، خاصة اليمينية وفي بعض المناطق مثل مدريد أو قشتالة، يميل إلى التقليل من حجم القمع الفرانكوي، ورفض أي مقارنة بين فرانكو وهتلر أو موسوليني، وتقدير مزايا النظام. ووفقاً لاستطلاع رأي حديث، يعتبر خمس السكان أن سنوات ديكتاتورية فرانكو كانت جيدة، بل جيدة جداً، بالنسبة للإسبان. هكذا، نلاحظ ظهوراً واضحاً لهذه النظرة الإيجابية للنظام الفرانكي في العشر سنوات الأخيرة، بفضل صعود حزب فوكس: فالمزيد من الشباب يشاركون في القداس التذكاري لفرانكو، ويغنون في الشوارع Cara al Sol (نشيد الفالانخين)، ويشكو بعض معلمي المدارس الثانوية من اختيار الطلاب لفرانكو كبطل من أبطال تاريخ إسبانيا في واجباتهم المدرسية.

يفسر هذا جزئياً سياسة الحكومة الاشتراكية الحالية، الموجهة بشكل خاص إلى هذه الشريحة من الشباب، والتي تركز ليس فقط على قسوة النظام من خلال إعادة تأهيل الضحايا، ولكن أيضاً على العواقب الملموسة لغياب الحريات وأهمية النضال ضد فرانكو والمكتسبات الديمقراطية.

أجرت المقابلة ماتيلد تيسونبير.

صوفي بيبي، أستاذة محاضرة في التاريخ المعاصر بجامعة بورغون أوروبا، تفكر في القضايا التي تطرحها أعمال العنف الجماعي وذاكراتها في مجتمعاتنا المعاصرة، ولا سيما في المنطقة الأيبيرية الأمريكية في القرنين العشرين والحادي والعشرين. وقد نشرت مؤخراً في دار النشر La Découverte كتاباً بعنوان Juger Franco ? Impunité, réconciliation, mémoire (2024). وهي أيضاً مؤلفة كتاب Le mythe de la transition pacifique. Violence et politique en Espagne (1975-1982) (2012)، ترجم إلى الإسبانية في 2018، وشاركت في إصدار كتاب رقمي غني بالمعلومات بعنوان Condamner le passé ? Mémoires des passés autoritaires en Europe et en Amérique latine (هل ندين الماضي؟ ذكريات الماضي الاستبدادي في أوروبا وأمريكا اللاتينية)، دار نشر Presses Universitaires de Nanterre، 2019. مصدر النص: <https://www.europe-solidaire.org/spip.php?article77076>

مفاوضات بين كتلة العمل الوطني والقوات السياسية والنقابية الكتالانية (من كتاب مغاربة في خدمة فرانكو)

شهر ونصف بعد اندلاع الحرب الأهلية، تحركت محاولات لعزل وإبعاد فرانكو ومن يسير في
فلكه وفك الحصار عن المغاربة في تراب الحماية الإسبانية. بعضها استمدت قوتها من اليسار
الفرنسي أو أقصى اليسار.

بقلم: مارية روسا دي ماداريغا

كان أحد الاشتراكيين المشهورين، وهو
روبير جون لونكي Robert Jean Longuet على
علاقة وطيدة مع أعضاء لجنة الحركة الوطنية في
تراب الحماية الفرنسية، اتفق معهم على القيام
بانتفاضة ضد صفوف فرانكو وزعزعة أنصاره.
وفي نفس الفترة تقريبا تحرك فرنسي آخر اسمه
دافيد روسيه David Rousset، عضو الحزب
العمالي الأممي (الفرع الفرنسي للأمم المتحدة)
نحو فاس من أجل نفس الغرض [أنظر شهادته
بهذا الملف]. مبادرة أخرى قام بها الحزب
الشيوعي الفرنسي، الذي كان يدعو للقيام
بحملة عسكرية مناهضة لفرانكو بقيادة عبد
الكريم الخطابي بعد التمكن من إطلاق سراحه
 وإرجاعه من منفاه في جزيرة لاريونيون. وقام
بالمبادرة الرابعة الفوضوي بيير بيرنار Pierre
Bernard، كاتب عام للجمعية الدولية للعمال،
والذي قام بزيارة إلى برشلونة خلال أواسط 1936
من أجل التدارس مع اللجنة المركزية للملشيات
المناهضة للفاشية حول إمكانية القيام بعملية
عسكرية في الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي.
ويقال إنه واصل رحلته إلى غاية مدريد لتدارس
الفكرة مع لاركو كاباييرو، رئيس حكومة الجبهة

علاقة مع مناضلين تروتسكيين فرنسيين كانوا
يشغلون في البريد بالمغرب. انتقل إلى هناك
وكان يتصور أن انتفاضة المغاربة ستربك صفوف
الجنود الثوريين. كان استقلال المغرب بالنسبة له
أمرا أساسيا لا يحتاج للمناقشة، وكذلك بالنسبة
للوزون Louzon المناضل النقابي الفرنسي في
باريس. كان روسي على علاقة بالمغاربة ولكن لم
يكن الأمر كذلك مع الإسبان، بينما لوزون كان

الشعبية آنذاك، لكن هذا الأخير رفض تلافيا
لمشاكل دولية قد تنتج عن ذلك الدعم. كل
هذه المحاولات باءت بالفشل، لأن كل هؤلاء
لم يكونوا على علم بأوضاع المغرب ولا يقدر
وجيدا ظروف المحيط العالمي.
وفيما يتعلق بمبادرة دافيد روسي ساعتمد
على ما قاله لي شخصيا خلال حديث لي معه في
باريس سنة 1989. حسب أقواله، كان روسي على



مقاتلون المغاربة يقاتلون مع فرانكو



عكس ذلك. نشيط تروتسكي آخر جون روس Jean Rous كان موجودا ببرشلونة واتصل بلوزون وروسي. وبما أن هذا كان في المغرب انتقل لوزون إلى هناك ليتحدث إليه ويتفقا على إجراء محادثات مع المغاربة الذين حسب روسي كانوا حذرين ومحترزين وقرروا فقط بعد مفاوضات طويلة الذهاب معه إلى برشلونة. وعند الوصول إلى العاصمة الكاتالانية تكلف جون روس، الذي كان متواجدا هناك، كممثل للتروسكيين لدى «الحزب العمالي للتوحيد الماركسي Poum» ، بمقابلة المغاربة وروسي من ناحيته اتصل بلجنة الملشيات الكاتالانية المناهضة للفاشية. تواصلت المفاوضات مع الفوضويين لثلاثة أسابيع، وروسي الذي شارك فيها كلها لاحظ أن المغاربة جد متشبهين بالقوانين الشرعية وأنهم مستعدون لحمل السلاح ضد فرانكو، لكن شريطة التوفر على معاهدة استقلال أو على الأقل حكم ذاتي. وفي هذا المنحى، كانت مدريد بالنسبة لهم هي من يمتلك قرار الحسم في هذا الشأن، وباتفاق مع خطاب روسي الذي كان على اتصال ب«الحزب العمالي للتوحيد الماركسي» ، وبصفته تروتسكي التوجه، كان يريد إبعاد الكنفدرالية الوطنية للشغل، لذا بقي في برشلونة ولم يرافق المغاربة إلى مدريد حيث تم استقبالهم بصفة رسمية من طرف الحكومة المركزية. وحسب شهادة روسي أيضا، فإن الاشتراكيين الإسبان، تحت ضغط الفرنسيين والإنجليز رفضوا مطالب المغاربة، مقترحين عليهم مالا وعتادا، فرفضها المغاربة في حالة عدم توفر اتفاقية أو معاهدة استقلال أو حكم ذاتي على الأقل. وحسب روسي لم يكونوا يطمحون في أكثر من هذا الحل الأخير. والتقى روسي في شهادته مع آراء آخرين من الجانب الكاتالاني، المكون من الكنفدرالية الوطنية للشغل، والفدرالية الفوضوية الإيبيرية اللتين كانت لهما السلطة الحقيقية في برشلونة. لقد كان وفد لجنة الحركة المغربية الذي رافق روسي في شتنبر 1936 إلى برشلونة يتكون من محمد حسن الوزاني المعروف كوطني مرموق في المنطقة الجنوبية، وعمر بن عبد الجليل اللذين قدما للجنة المركزية للملشيات المناهضة للفاشية مطالبهما، حسب ما يبدو، لم يكونا يطالبان باستقلال المغرب في تلك الفترة بالضبط، خوفا من أن يقود ذلك إلى سيطرة إيطاليا أو ألمانيا. كانا يطالبان باستقلال

شبيه بالذي منحتة إنجلترا للعراق بعد الحرب العالمية الأولى. ولوقبلت مطالبهما كان المغاربة سيتوصلون إلى تفعيل الاتفاق بعد المصادقة عليه من طرف الجمهورية الإسبانية وموافقة السلطات الفرنسية.

وجد المؤرخ كارلوس سيرانوبين وثائق الكولونيل مانويل إسترادا Manuel Estrada رئيس جهاز البحث للأركان العليا للجيش الجمهوري، الوثائق الأصلية، كلها بالفرنسية، المتعلقة بالمفاوضات بين لجنة الحركة المغربية والأحزاب السياسية الكاتالانية. مؤرخة ما بين 7 و19 شتنبر 1936، ويمكن الرجوع إليها حاليا في الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد. الوثائق الأولى لها علاقة بمشروع اتفاق مبدئي بين لجنة الحركة المغربية والحكومة الجمهورية الإسبانية بتاريخ 7 شتنبر ووثيقة ثالثة كفهرس للتقرير القضائي والدبلوماسي.

وحسب ما ورد في الاتفاق المبدئي، يتوجب على الجمهورية الإسبانية أن تمنح الاستقلال لجهة الحماية الإسبانية، والتي ستصبح جزءا لا يتجزأ من المغرب تحت قيادة السلطان الذي يختار الخليفة بين مرشحين تقترحهما عليه حكومة المنطقة الإسبانية السابقة.

اقتراحات أخرى لها علاقة بطريقة الاقتراع وبارساء حكم جهوي، قانون يحفظ للإسبان الباقين بالمنطقة مصالحهم وامتيازاتهم. والنقطة الأخيرة كانت تقترح أن تبقى سرا إلى أن يقرر الطرفان الإعلان عنها فور إعلان النصر في

المنطقة.

الوثيقة الرابعة موقعة من طرف محمد حسن الوزاني وعمر بن عبد الجليل، كانت عبارة عن رسالة مؤرخة في 18 شتنبر 1936، يعبر فيها الوفد المغربي عن استيائه وقلقه من جراء بقاءه لمدة ثلاثة أسابيع ببرشلونة دون أن يتوصل بأي جواب عن مطالبه، وتكلم الرجلان عن اجتماعات ولقاءات أجريت حول الموضوع بطلب من الجهات الإسبانية.

ولما لم يتلق أي جواب من لدن السلطات الإسبانية اقترح الوفد المغربي المصادقة على اتفاق مبدئي يقتصر على المنظمات العمالية والأحزاب السياسية بتاريخ 19 شتنبر 1936 يتكون من مقدمة ونص من ستة أبواب وخاتمة تذكر بالخطوط العريضة للمشروع، وفي الفقرة الأخيرة تعهدت المنظمات والأحزاب بالتدخل لدى السلطات كي تعتمد ذلك الاتفاق وتصادق عليه ليدخل حيز التطبيق. وفي رسالة إلى غارسيا أوليفير Garcia Oliver بتاريخ 21 شتنبر شدد الوفد المغربي على ضرورة الضغط على الحكومة المركزية لكي توافق على الاتفاق وتعلنه بين المنظمات النقابية والأحزاب السياسية من جهة، ولجنة الحركة المغربية من جهة أخرى، لأن اعتراف الحكومة الإسبانية بذلك يشكل دفعا قويا ودعما رسميا، أمام الرأي العام في العالم الإسلامي ويسهل القيام بإجراءات مثيلة مع الحكومة الفرنسية. وفي رسالة أخيرة مؤرخة في اليوم الموالي تكلم الوفد المغربي عن إمكانية

طرح فكرة على مدريد، ألا وهي اللجوء إلى الاتحاد السوفياتي لطلب المساعدة، وستتم دراسة تفاصيلها مع الحزب الاشتراكي الموحد الكاتالاني. وفي حالة قبول الحكومة الإسبانية المصادقة على ذلك الاتفاق كانت لجنة الحركة المغربية ستلجأ للتفاوض كذلك مع الحزب الشيوعي الفرنسي، لأنه كان ضروريا جدا أن تعلم فرنسا بذلك في تلك المرحلة.

ما سبق ذكره، يستوجب منا بعض التعليق. فيما يتعلق بالمفاوضات، لا ندري في أي جانب تمت، هل بالجهة المغربية أم الإسبانية؟ حسب كارلوس سيرانو، كانت رواية الأحداث من طرف غارسيا أوليفر هامة جدا في كتابه «صدى الخطوات» رغم أنها غامضة بعض الأحيان يتحدث غارسيا أوليفر عن لقائه شخصا، بواسطة بناء مصري اسمه أرخيل، كان يمثل في برشلونة اللجنة الإسلامية، مع الممثلين في جنيف للجنة الحركة المغربية برئاسة الطريس «مورو، أشقر وشعره ناعم». وهنا بالضبط في علاقته بالطريس يفترق كلام غارسيا أوليفر إلى كل مصادقية ويمكن أن يطبق عليه مثل «سمع قرع الأجراس ولم يتبين مصدرها. لقد سبق وأن تكلمنا عن رجل اسمه الطريس، كان في تطوان ولا علاقة له أبدا بجنيف، ولم يكن أشقر ولا ناعم الشعر، بل تميل بشرته للحمرة على الشكل المتوسطي، شعره قصير ومجعد شيئا ما وليس بأوصاف إسبانية كما أشار الكاتب ... عمره 26 سنة، وكان يتعاون مع فرانكو. لاشك أن غارسيا أوليفر قد سمع عن شخص اسمه الطريس ينحدر من أسرة أندلسية، فخلق له تلك الصورة في مخيلته، دون أن يعرفه شخصا كما أورد . وهناك أيضا موضع آخر يبدو فيه غريبا ما يقوله غارسيا وذلك عن أرخيل Argila البناء المصري الذكي، قد يكون إسبانيا وليس مصريا كما ادعى. وقد سبق وأن أوردنا حدث تكوين الجمعية الإسبانية المغربية بمadrid سنة 1932 يرأسها عضو البرلمان الكاناري فرانشي روكا، ومن بين أعضائها اثنان يحملان اسم أرخيل : خايمي (صحفي)، ومارسيلو (مهندس). وتصورت للتو أن أحدهم هو أرخيل، الذي تحدث عنه غارسيا أوليفر.

يوضح لنا ابييل باس Abel Paz في كتابه قضية المغرب والجمهورية الإسبانية بأن الأمر يتعلق فعلا بمارسيلو أرخيل ، ولقاء الوفد المغربي

مع هذا الأخير في برشلونة حيث يقيم، كان ممكنا جدا . وكان محمد حسن الوزاني من بين المتكلمين سنة 1932 ضمن الجمعية الإسبانية الإسلامية وكذلك عمر بن عبد الجليل. ويمكن أن يكون محمد حسن الوزاني على علاقة وطيدة بجنيف، لأن اسمه قد ورد لمرات عدة ضمن لائحة المتدخلين عن الجمعية المذكورة.

إن قدرة غارسيا على خلق شخصيات وهمية، مثل الطريس الأشقر، وأرخيل، البناء المصري، تجعلنا نشك في مدى صدق الأحداث التي أوردتها. ومن خلال رسالة الوفد المغربي في 18 من شتنبر يتبين أن المفاوضات قد انطلقت بمبادرة إسبانية، خلال حكومة خيرال في نهاية غشت، خصوصا حينما تكلم عن الأزمة الحكومية، أي استقالة خيرال من منصبه كوزير أول وتشكيل حكومة أخرى في 4 شتنبر 1936 بقيادة لارغو كاباييرو . نتصور أن المبادرة قد جاءت من الجانب الإسباني وأن الاتصالات قد تمت عن طريق اليسار أو أقصى اليسار الفرنسي، الذي كانت تجمعها علاقة صداقة بأعضاء لجنة الحركة المغربية، وخصوصا محمد حسن الوزاني، الأمر الذي يشرح تحركات دافيد روسي وبير بيرنار. وتبقى مهمة بير بيرنار مستقلة عن تلك التي قامت بها لجنة الحركة المغربية، لأن الكاتب العام للمنظمة الدولية للعمال ترك برشلونة قبل أن يبدأ الكاتالانيون واللجنة المذكورة بمباحثاتهم ومشاوراتهم.

ولاشك أن المفاوضات التي تمت في برشلونة قبل تلك الفترة هي التي أشار إليها علال الفاسي، أحد أكبر زعماء الحركة الوطنية في منطقة الحماية الفرنسية، وأحد مؤسسي لجنة الحركة المغربية في مجال الحماية الفرنسية سنة 1934، حيث أشار إلى أن وفدين مغربيين توجهوا إلى أوروبا، أحدهما إلى باريس والثاني إلى مدريد. وفي المذكرة التي رفعتها كتلة العمل الوطني إلى الوفد الفرنسي المكون من اشتراكيين وشيوعيين، وإلى وفد الجمهورية الإسبانية طلب الوطنيون المغاربة، إلى جانب مطالب أخرى، كشرط لدعم الجمهورية الإسبانية، على أن تعلن هاته استقلال المنطقة الخليفية في الجانبين الإسباني والفرنسي، وأن تضمن الدولتان استقلال المغرب وتعتمده كبلد حر داخل عصبة الأمم، مع مصادقة إسبانيا على معاهدة مع خليفة السلطان حول الاستقلال وإقامة علاقات

صداقة بين البلدين. لقد تلقى وفد كتلة العمل الوطني الذي توجه نحو باريس جوابا بالرفض من طرف ليون بلوم Leon Blum وكذلك فشل الوفد جديدة مع المنظمات العمالية والأحزاب السياسية الكاتالانية الذي تكلف بالحوار مع الجمهورية الإسبانية في برشلونة، مما جعله يبدأ محاولة

تعادل الوثيقة التي تكلم عنها علال الفاسي، تقريبا، مشروع الاتفاق المبدئي الذي كان وفد كتلة العمل الوطني يقترح تدارسه مع الحكومة الجمهورية الإسبانية. ولا ندري هل الوفد الجمهوري الإسباني كان ممثلا للحكومة أم كان فقط مكونا بطريقة غير رسمية، وتقتصر مهمته على لعب دور الواسطة وتلقي المقترحات من الوفد المغربي لإبلاغها إلى السلطات الجمهورية ذات الصلة. ويبدو مهما أن نشير إلى أن وفد كتلة العمل الوطني لم يتمكن قط من اللقاء مع الحكومة المركزية في مدريد.

وفيما يتعلق بوفد الكتلة الذي توجه إلى برشلونة، يقول علال الفاسي : (...) لقد وجهت الكتلة وفدا إلى برشلونة للتحدث إلى مسؤولي الحكومة الجمهورية والتفاوض حول النقاط التالية (أي التي تم سردها من قبل). لقد استقبلت الحكومة الكاتالانية في شتنبر 1936 وفدا كما لو كان وقد سفراء رسمي. لقد جرت محادثات ومشاورات مطولة، بناءة وذكية بين الوفد المغربي والكاتالاني. وقد بعثت كاتالونيا في طلب ممثلها لدى حكومة مدريد الذي وصل بمعية وزير الشؤون الخارجية الإسباني، وخلال المفاوضات أبدى ممثل وزارة الخارجية تحفظا على بعض الجوانب الخاصة إلى غاية التشاور مع فرنسا.

وعلمنا لاحقا أن وزير الشؤون الخارجية قد اتصل بالحكومة الفرنسية، والتي اتصلت بدورها بالمقيم العام بالمغرب، الجنرال نوغيس، الذي عارض بكل شدة الفكرة واعتبرها «حماقة» وهدد إسبانيا بأبشع رد إن هي سارت في هذا الطرح.

وواصل علال الفاسي رأيه قائلا: «لقد أبلغت حكومة مدريد وفدا شفويا أنها لا تستطيع في الوقت الراهن منح المغرب استقلاله، نظرا للأوضاع العامة، واقترح عليهم قبول مبلغ 40 مليون بسيطة كدعاية ديمقراطية إسبانية ووعدت أنه بعد انتصار الجمهورية ستنهج سلوكا مختلفا وإيجابيا تجاه وفد المغرب. احتج

وفدنا على هذا الاقتراح البئيس وانسحب مهانا من قاعة الاجتماعات.

وللإشارة في النهاية تطرق علال الفاسي إلى الاتفاق والمحادثات التي جرت بين الوفد المغربي والحكومة الكاتالانية التي تعهدت بالتوسط لدى الحكومة المركزية بمدريد وباءت كل المحاولات بالفشل وبقيت الوعود حبرا على ورق. ويجدر بنا أن نذكر بأن علال الفاسي لم يكن ضمن الوفد المتفاوض وإنما أورد الأحداث كما رويت له، لا نعتبرها أصلية ولا نعتمد عليها، كمرجع ثابت، ولكن كخطوط عريضة لاتفاقها مع ما ورد في حرب مصادر أخرى. ويتطابق مع رواية الحزب الكاتالاني الإسباني، التي نقلها كتاب «حرب وثورة في إسبانيا، 1936-1939»، يلاحظ أن الوطنيين المغاربة لم يكونوا يطالبون باستقلال المغرب، ولكن بنوع من الإصلاح يمكنهم من حكم ذاتي في المنطقة وسلطة سياسية وإدارية على غرار ما تستفيد منه كاتالونيا بموجب القانون المنظم لذلك. لقد رفضت الحكومة الإسبانية المطالب المغربية التي تم الدفاع عنها جملة وتفصيلا والتي كانت المنظمات العمالية والأحزاب الكاتالانية هي التي تحركت نحو مدريد لإقناع الحكومة المركزية بمشروعيتها.

وحسب نفس المصدر فإن هذا الوفد كان مكونا من الاتحاد العام للشغالين في شخص رافاييل فيديلا Rafael Vidiella الذي تحدث مع برييتو عن التنصيب بوزارة البحرية - الجوية داخل الحكومة الجديدة بقيادة لاركو كاباييرو. وحينما عرض برييتو المشروع على المجلس الوزاري، صوت ضد منح المغرب حكما ذاتيا، لأن الحكومة لديها التزامات دولية يجب أن تحترمها، وكان ذلك أيضا موقف لاركو كاباييرو. ومن خلال ما سبق نستنتج الآتي:

- بعث الوطنيون المغاربة لكتلة العمل الوطني وفدا إلى مدريد في غشت من أجل الشروع في مفاوضات مع الحكومة الجمهورية بقيادة خيرال آنذاك، حول منح الاستقلال الذاتي للمغرب. لم تتم هذه المفاوضات، الأمر الذي حذا بالوفد المغربي للتوجه لاحقا نحو برشلونة لبدء سير آخر مع المنظمات النقابية والحزبية في كاتالونيا التي أبدت استعدادا وقبولا أكبر لمطالبهم. كما أدت مفاوضات كتلة العمل الوطني مع التنظيمات المذكورة إلى تقديم «مشروع الاتفاق التمهيدي» بين الكتلة

المذكورة والحكومة الإسبانية، الذي لم يخرج أبدا لحيز التنفيذ ولم يتوصل مقترحوه قط برد من الحكومة المركزية بمدريد تحت قيادة لاركو كاباييرو.

وفي الأخير نورد بعض المعطيات حول «الاستقلال» أو «الحكم الذاتي» للمغرب.

تحدث علال الفاسي في روايته لاحقا للأحداث عن استقلال المغرب الذي جعلت منه الحركة الوطنية في المغرب مطلبا أساسيا لمشروعها وأسست بموجب ذلك سنة 1944 ما سمي بحزب الاستقلال». وحسب فيديلا، فقد كان أعضاء لجنة الحركة المغربية الذين كانوا يتنقلون بين برشلونة وجنيف يطالبون باستقلال ذاتي كما أورد ذلك أيضا غارسيا أوليفير. وإذا كان هذا الوفد قد قام بزيارات لجنيف، فليس من أجل التحدث ومشاورة الشخصية الخيالية هناك «الطريس»، وإنما مع أعضاء وطنيين آخرين مثل شكيب أرسلان مثلا الذي رأينا سابقا كيف وجه رسالة للطريس سنة 1931 مبديا تخوفه من استقلال المغرب الإسباني وإمكانية حلول فرنسا بدله، وتأيبده بالأحرى الاستقلال ذاتي على النموذج الكاتالاني.

ويبدو أن مقترح أعضاء الكتلة قد خيب رؤية غارسيا أوليفير، رئيس لجنة الملشيات المناهضة للفاشية بكاتالونيا الذي اقترح: «استقلال المغرب». ولا يبدو غريبا إذا قلنا أن ذلك كان مستحيلا في تلك الظروف الدولية المحيطة بالمشروع آنذاك.

ومن ذلك الحين، لم تكن الجمهورية

الإسبانية في وضع يسمح لها بقبول أو التشاور مع المغاربة حول أي مشروع استقلال أو حكم ذاتي، دون الرجوع إلى فرنسا، إسبانيا لم توقع قط معاهدة مع المغرب من أجل إرساء الحماية. معاهدة الحماية التي بموجبها دخلت فرنسا والموقعة في 30 مارس 1912 بين فرنسا والسلطان المغربي ولم توقع إسبانيا إلا لاحقا معاهدة ثنائية أخرى مع فرنسا في 27 نونبر 1912 بموجبها حصلت إسبانيا بتنازل من فرنسا التي ضغطت عليها إنجلترا، على جزء من تراب المغرب ليخضع لحمايتها.

لقد كان موقف فرنسا واضحا وحاسما بالنسبة لهذه القضية، واعتمدته الجبهة الشعبية لما تولت الحكم بعد فوزها في انتخابات يونيو 1936. ورغم أن الجبهة الفرنسية الشعبية في ذلك الحين كانت أكثر تقدمية وأكثر إحساسا بمسألة رخاء الطبقة العاملة من الحكومة السابقة، وسياستها على الساحة الدولية، فإنها لم تعرف تغيرا كبيرا، خصوصا فيما يتعلق بالدول المستعمرة. وقد كان من شأن المصادقة على الاتفاق الكتلاني / المغربي من طرف الجمهورية الإسبانية أن تربك الوضع، ليس فقط في مجال الحماية الفرنسية ولكن أيضا في كل جهة تدخلها بشمال أفريقيا. إذا منحت إسبانيا الاستقلال أو الحكم الذاتي للمغاربة في



مجال حمايتها ستضطر فرنسا لاحتلال الموقع الذي أفرغته إسبانيا وسيغير هذا خريطة مجال النفوذ والتدخل في المغرب، الأمر الذي لم تقبله قط إنجلترا، ويمكن أن تنتج عنه توترات دولية كبرى. لذا كانت فرنسا ترفض كل محاولة تسعى لاستقلال وتحرير المغرب، وبموجب المعاهدة الموقعة بين فرنسا وإسبانيا في 27 نونبر 1912 كان مجال الحماية الإسبانية بمثابة «قطعة مكترة» من فرنسا.

وقد كان لاركو كاباييرو يعارض منح المغرب الاستقلال أو الحكم الذاتي، ليس فقط لأن فرنسا كانت غير موافقة، لكنه كان يتوسم أيضا أن تدعم هذه الأخيرة الجمهورية.

لقد تبين من الأحداث اللاحقة أن هذا الطموح لم يكن إلا أضغاث أحلام. وفي كلتا الحالتين، حتى لو أن لاركو كاباييرو موافقا، لم يكن ممكنا للحكومة الإسبانية أن تتصرف دون موافقة فرنسا. لقد كان البرنامج الكتلاني / المغربي بعيدا عن الواقع وحظوظ تطبيقه ضئيلة :

أولا : وهي أهم نقطة، حيث كان الوطنيون المغاربة في مجال الحماية الإسبانية غير ممثلين ضمن لجنة الحركة

المغربية، ليس فقط لظروف جغرافية ولكن سياسية أيضا، ذلك أن الوطنيين في مجال الحماية الإسبانية كانوا قد قرروا في ذلك التاريخ التعاون مع فرانكو.

ثانيا : إذا كانت لجنة الحركة المغربية تعد أنصارها من سكان الحواضر، فإن تأثيرها كان جد ضئيل في الأرياف والبوادي، وهناك كان فرانكو يعمل على تجنيد الأهالي لتقوية صفوفه. لذلك فإن فكرة تحريك الثورة ضد الفرنكاويين بين القبائل أو في مناطق الحدود مع المجال الفرنسي فاشلة، لكون الوطنيين يجهلون كل شيء عن ذلك. وإن لم نقل مستحيلا، فهو جد مستبعد أن يكون للفرنسيين تأثير على القبائل وتحضيرها، لأنهم لم يحاولوا التأثير عليها بقدر ما ركزوا على الجانب الأمني عبر الحدود كعملية وقائية. لم يكن ليتم أي شيء دون مباركة القوات الفرنسية التي لم تكن مستعدة في تلك الأثناء لأي شوشرة أو مضايقة في قبائل الحدود.

ثالثا : ونفس الشيء بالنسبة للحماية الفرنسية. لم يكن للوطنيين أي تأثير على البوادي والأرياف، عدا بعض الدواوير والقبائل القريبة من تطوان أو مراكز صغيرة، مثل القصر الكبير والعرائش. ولم يكونوا

كذلك قادرين على استنهاض ثورة في القبائل ضد فرانكو، وكذلك سياسة الأيادي الحديدية التي كان فرانكو يقبض بها على القبائل والتي كانت تشنهم عن كل محاولة للانتفاض، لعلمهم المسبق بفشلها.

كما أن فكرة إرجاع عبد الكريم الخطابي من منفاه بجزيرة لاريونيون للقيام بثورة أخرى في الريف ضد فرانكو، كانت حظوظها قليلة وضئيلة النجاح، فلم تقبل فرنسا قط إطلاق سراح الزعيم الريفي لقيادة ثورة أخرى، لأنها كانت ترى في ذلك خطرا ليس فقط على نفوذها في المغرب ولكن في شمال أفريقيا كلها.

لقد كان الوطنيون على علم بصعوبة تحقيق مشروعهم، ليس فقط لانعدام نفوذهم بين القبائل ولكن أيضا لوثوقهم من أن فرنسا لن توافقهم أبدا عليه. لو وافقت الحكومة على الاتفاق الكتلاني / المغربي لشكل ذلك انتصارا للحركة الوطنية أمام الحماية الفرنسية؛ الاعتراف بلجنة الحركة المغربية كمخاطب شرعي عن الشعب المغربي وكمخاطب مؤهل للحوار مع الحكومات الأجنبية على قدم المساواة.

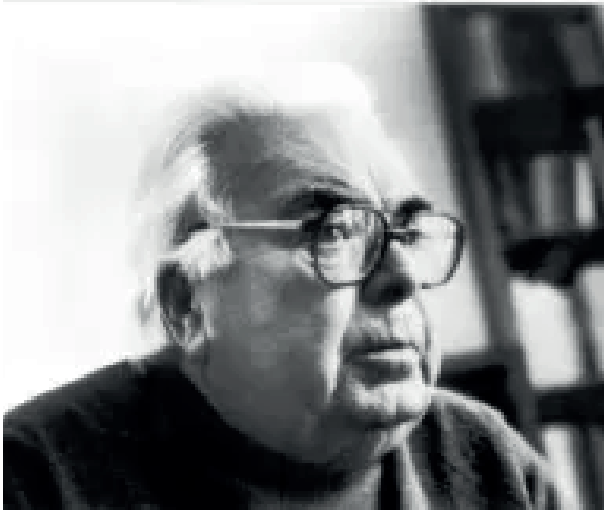
وحسب ما ورد في الاتفاق الإسباني / الفرنسي في 27 من نونبر 1912، لم تكن لإسبانيا السلطة في اتخاذ أي قرار مستقبلي في المنطقة دون اللجوء إلى فرنسا. وبدورها فرنسا لم تكن مستعدة لأخذ أي قرار دون مشورة إنجلترا، كما سنرى لاحقا.

ماريا روسا دي ماداريغا، مغاربة في خدمة فرانكو. الطبعة الثانية 2014 . منشورات الزمن

صفحات 274 الى 283



شهادة دافيد روسيه عن المفاوضات بين الحركة الوطنية المغربية والسلطات الإسبانية



تضمنت الحرب الأهلية الإسبانية مشكلة استعمارية كان من شأنها أن تكون حاسمة بالنسبة للثورة، وهي مشكلة منطقة الريف. كان لانتفاضة ريفية أهمية عسكرية وآنية، إذ كانت ستضع فرانكو في مأزق بحرمانه من القاعدة الخلفية لعملياته، ما كان سيساعد على انتصار القوات الجمهورية. جرت مفاوضات بين الحركة الوطنية المغربية والسلطات الإسبانية، لكنها لم تثمر بسبب موقف هذه الأخيرة. استجلاءً لهذه الصفحة المجهولة أو المطموسة من تاريخ الحرب الأهلية الإسبانية، نعتقد أنه من المفيد والمهم نشر نص شهادة دافيد روسيه الشفوية، الذي كان وراء هذه المفاوضات.

بقلم روسيه دافيد

شهادة دافيد روسيه

كنت آنذاك عضواً في المكتب السياسي للحزب العمالي الأممي، PCI، فرع الأممية الرابعة بفرنسا. وبهذه الصفة كنت في المغرب في أغسطس 1936. كانت مكلفاً بتنظيم فرع فرنسي في المغرب وفرع مغربي للأممية الرابعة في إطار الحزب العمالي الأممي. ولهذا الغاية، كنت على اتصال بكتلة العمل الوطني المغربية التي كانت تمثل الحركة الوطنية المغربية والتي كانت، في تلك الحقبة، حركة موحدة.

أهم الشخصيات التي كنت على اتصال بها في ذلك الوقت هي الفاسي، الذي كان يشارك في جميع المناقشات باللغة العربية، ومحمد حسن الوزاني.

كنا نجري المناقشات بشكل أساسي مع

الوزاني وعمر بن عبد الجليل، وكانت القرارات تُتخذ بدون مشاركتي في اجتماعات بكامل الأعضاء.

كانت الصعوبة التي اعترضتني عدم وجود علاقات مباشرة مع إسبانيا، ولا سيما مع برشلونة. لأن هذه المشكلة لم تكن مطروحة عندما

غادرت باريس، وبالتالي لم نناقشها في القيادة الباريسية. كان جان روس في ذلك الوقت في برشلونة، وكان، كما هو بديهي، على اتصال وثيق مع الحزب العمالي للتوحيد الماركسي (POUM). ولكن كيف الوصول إلى جان روس؟ في الآن نفسه، كان روبرت لوزون في برشلونة على اتصال

مع جان روس. وكان هذا الأخير، من ناحية أخرى، على اتصال بنقابة الكنفدرالية الوطنية للعمل CNT والفدرالية الأناركية الأيبيرية FAI.

في برشلونة، طرح أيضاً لوزون مشكلة المغرب الإسباني، لكنه لم يكن على اتصال

أهم الشخصيات التي كنت على اتصال بها في ذلك الوقت هي الفاسي، الذي كان يشارك في جميع المناقشات باللغة العربية، ومحمد حسن الوزاني.

للغاية. ونتيجة لذلك، تغير الغرض من إقامتي في المغرب، حيث أضفت هذا الهدف إلى الأهداف الرئيسية التي كنت قد حددتها في البداية، وتفاوضت مع كتلة العمل الوطني المغربية حول إمكان تدخل عسكري في إسبانيا.



حرب تطوان بريشة ماريانو فورتوني. ويكيبيديا

الأممي أي دور في مثل هذه المسألة، فقد كانت مفاوضات دبلوماسية بين ممثلي كتلة العمل الوطني المغاربة المؤهلين وممثلي اللجنة المركزية للميليشيات المؤهلين. لكنني شاركت، بصفتي مستشاراً، في صياغة الوثائق الأساسية التي شكلت لاحقاً مشروع معاهدة الاستقلال. وضع المغاربة المبدأ التالي: قالوا إنهم مستعدون للقيام بانتفاضة عسكرية في المنطقة الإسبانية، في الربيف، لكنهم لن يفعلوا ذلك إلا بشرط صريح: أن يتم الاعتراف باستقلالهم. لكن مشروع المعاهدة اتبع الخطوط العريضة للمعاهدة الفرنسية-السورية التي تم توقيعها في ذلك الوقت. أي نص يعترف بالاستقلال، لكنه يحافظ على روابط وثيقة بين المتربول السابق والمستعمرة السابقة. في نهاية شهر سبتمبر، تم تحديد الشروط بشكل نهائي. وافقت اللجنة المركزية للميليشيات على المشروع، ثم انتقلنا إلى المرحلة الثانية.

المركزية للميليشيات. هذه الأخيرة، بعد أن أبلغت بوجودنا وأهدافنا، جاءت لزيارتنا في مقر الحزب العمالي للتوحيد الماركسي، وكما كان الحال دائماً آنذاك، كانت العمليات تتم بطريقة غريبة، أي أن مجموعة مسلحة وصلت في أحد الأيام إلى باب مبنى الحزب العمالي للتوحيد الماركسي، ثم جرت محادثات غريبة بعض الشيء بين أعضاء الحزب والكنفدرالية الوطنية للعمل والفدرالية الاناركية الايبيرية، ونحن انتقلنا بأسلحتنا وممتلكاتنا إلى جانب هاذين التنظيمين. استقبلتنا قيادة اللجنة المركزية للميليشيات. لا أتذكر الأسماء، لكنهم كانوا على أي حال قادة اللجنة المركزية للميليشيات. أعطونا فيلا في برشلونة، حيث استمرت المفاوضات طوال شهر سبتمبر. كنت أؤدي هناك دور مستشار الوفد المغربي، أي أنني، بطبيعة الحال، تراجعت سياسياً خلف الوفد المغربي. بعبارة أخرى، لم يكن للحزب العمالي

بالمغرب، وفي ذلك الوقت اقترح عليه روس أن يأتي لرؤيتي في فاس.

لذلك، في أحد أيام شهر أغسطس، رأيت روبرت لوزون يصل إلى فاس. قمت بربطه بالمغاربة، فأجرينا مفاوضات طويلة مع أعضاء كتلة العمل الوطني. بالطبع، طرحت العديد من المشكلات: أولاً المشكلات السياسية، ثم مشاكل الأمن والحذر، خاصة من جانب المغاربة الذين كانوا يخشون بالطبع التعرض للقمع. كانوا بالفعل قانونيين جزئياً غير قانونيين جزئياً في المنطقة الفرنسية، في حالة اندلاع صراع عسكري مفتوح في الربيف.

في النهاية، أسفرت هذه المفاوضات، التي استمرت طوال شهر أغسطس تقريباً، عن اتفاق أولي: قرر المغاربة فصل منطقة المغرب المحتلة فرنسياً عن المنطقة المحتلة إسبانياً فصلاً دبلوماسياً وفعالاً إلى حد ما، أي أن العملية العسكرية المزمعة لن تمس المنطقة الفرنسية، وأنهم سيقصرونها على المنطقة الإسبانية، وعينوا الوزاني وبن عبد الجليل لمرافقتي إلى برشلونة. آنذاك، غادرنا روبرت لوزون وعاد إلى فرنسا، وذهبت إلى إسبانيا مع الزعيمين المغربيين.

وصلنا إلى برشلونة. كان اتصالي الوحيد في برشلونة هو الحزب العمالي للتوحيد الماركسي، لذا اتصلنا رفقة الزعيمين المغربيين، عن طريق جان روس، بقيادة الحزب التي استقبلتنا. لكن في الواقع، لم يكن الحزب العمالي للتوحيد الماركسي في برشلونة في ذلك الوقت العنصر الحاسم، بل اللجنة المركزية للميليشيات التي كانت تهيمن عليها الكنفدرالية الوطنية للعمل والفدرالية الاناركية الايبيرية. لذا، لم يكن بد، كي تنجح المفاوضات، من إجرائها مع اللجنة

مقاتلون من جيش محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي واجه الإسبان في شمال المغرب (الصحافة الإسبانية)



تم عرض المشروع على جميع وفود الأحزاب الكاتالونية، دون استثناء. ووافقت كلها على مشروع معاهدة الاستقلال، حتى الحزب الشيوعي، دون استثناء. ثم انتقلنا إلى المرحلة الثالثة: أي على مستوى حكومة كاتالونيا، ووافقت حكومة كاتالونيا العامة على نص المعاهدة التي أصبحت بذلك معاهدة رسمية بين الوفد المغربي وحكومة كاتالونيا العامة. أقيمت مراسم، مع توقعات وصور وأفلام وما إلى ذلك. لذا كان الأمر رسمياً تماماً. كانت العلاقات قد أقيمت بالفعل مع القبائل المغربية في الريف. تمت تسوية مسألة المال والأسلحة، وعملياً (وهذا ليس وجهة نظر متفائلة، بل وجهة نظر واقعية تماماً للأمر) كان من الممكن أن تبدأ العمليات العسكرية بسرعة كبيرة.

ومع ذلك، لم يكن لدى حكومة كاتالونيا العامة سلطة اتخاذ القرار عوضاً عن الجمهورية الإسبانية. لذلك انتقلنا إلى المرحلة الرابعة: أي التفاوض مباشرة مع حكومة مدريد. عندها، تم استيعادي من المفاوضات. من الواضح أن الإسبان لم يكونوا راغبين على الإطلاق في رؤية مناضل تروتسكيّ فرنسي يتدخل بشكل كبير في

من الواضح أن الإسبان لم يكونوا راغبين على الإطلاق في رؤية مناضل تروتسكيّ فرنسي يتدخل بشكل كبير في الأمور: لم يتمكنوا من تجنب ذلك في برشلونة حيث كانت المشكلات تبدو بشكل مختلف قليلاً، لكنهم لم يرغبوا في أن يستمر ذلك لفترة طويلة. لذا سافر الوزاني وابن عبد الجليل وحدهما إلى مدريد، ولم أتمكن من المشاركة في المحادثات على الإطلاق. لكنهم لم يرغبوا في أن يستمر ذلك لفترة طويلة. لذا سافر الوزاني وابن عبد الجليل وحدهما إلى مدريد، ولم أتمكن من المشاركة في المحادثات على الإطلاق.

الأمور: لم يتمكنوا من تجنب ذلك في برشلونة حيث كانت المشكلات تبدو بشكل مختلف قليلاً، لكنهم لم يرغبوا في أن يستمر ذلك لفترة طويلة. لذا سافر الوزاني وابن عبد الجليل وحدهما إلى مدريد، ولم أتمكن من المشاركة في المحادثات على الإطلاق. لذلك، أورد ما قاله لي. لقد التقيا مع لارغو كابييرو الذي كان، بطبيعة الحال، يتعرض لضغوط شديدة من باريس ولندن. باريس ولندن اللتان أبلغتا — كيف؟ لا أعرف! ولكن هذا أمر طبيعي ولا مفر منه — بهذا المشروع وكانتا معاديتين له تماماً. بالنسبة لباريس، الأمر مفهوم، لأن حكومة ليون بلوم كانت تتساءل عما سيحدث إذا أدى ذلك إلى استقلال الريف. ونتيجة لذلك، أوضحت الحكومة الإسبانية للوفد العربي، أنها لا تستطيع التوقيع على معاهدة برشلونة، ولكنها مستعدة لتقديم المال والأسلحة لكي تتم العمليات. هنا، اصطدمنا بسلوك المندوبين المغاربة. لو كنتُ هناك، لأوصيت بتجاهل ذلك وقبول وسائل العمل، لكن لم يكن الأمر كذلك. لقد تصرفوا كوفد يمثل حركة برجوازية، ولا يريد القيام بعمليات ما لم يحصل على الضمانات السياسية

المطلوبة. وأوضحوا للحكومة الإسبانية أنهم ليسوا عملاء للمكتب الثاني [الاستخبارات]! وأنهم مستعدون، وأنه من الممكن تماماً القيام بالعمليات بسرعة، ولكن بشرط واحد، وهو معاهدة برشلونة، التي كانت، مرة أخرى، معاهدة من نوع المعاهدة الفرنسية-السورية.

في هذه اللحظة حدثت القطيعة. عادوا إلى برشلونة حيث التقوا بي وعدنا إلى فرنسا. بعد عودتهم إلى باريس بوقت قصير، التقوا ليون بلوم، وأجروا معه محادثة مطولة. لا أعرف مضمون هذه المحادثة. بعد ذلك، توجهوا إلى المنطقة الفرنسية في المغرب.

وهذه هي قصة المفاوضات مع اللجنة المركزية للميليشيات.

دافيد روسيه، باريس، 1939 وما بعده
هذه الرواية تعود إلى فترة ما بعد الحرب، لكن دافيد روسيه كان قد كتب شهادته بالفعل في عام 1939 في مقالين نشرتهما صحيفة Lutte ouvrière، العدد 112 (10 مارس) و 115 (7 أبريل). لحماية سلامتهم، لم يتم ذكر أسماء الأشخاص الذين يذكروهم هنا.

ترجمة: المناضل-ة

* نُشر ملحقاً في Miguel Romero

La guerre civile espagnole au pays basque et en catalogne Contrastes et convergences
Les Cahiers d'Etude et de Recherche.
Numéro 13
Institut international de recherche et de formation

